

أكبر الأفضية التابعة لحوران وأكثرها سكاناً^(١). ويشمل نواحي: الكورة وبني جهمة والسرور والوسطية وبني عبيد والكفارات وجبل عجلون وجرش^(٢). وكانت إربد مركز القضاء، وفي عام (١٨٥٦م) أصبحت عجلون لواءً يضم نواحي: الكورة وبني جهمة والسرور والوسطية وبني عبيد والكفارات وجبل عجلون وجرش. كما تبعه كل من البلقاء والكرك^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن التقسيمات والتشكيلات الإدارية اتصفت بالتغيّر المستمر وعدم الثبات في الفترة بين عامي (١٨٥٠-١٨٦٠م)^(٤)، إلى أن صدر "قانون تشكيل الولايات" عام (١٨٦٤م)^(٥).

الزعامة والإدارة العشائرية:

كان من نتائج هزيمة المماليك أمام العثمانيين في معركة مرج دابق عام (١٥١٦م) أن تركت المنطقة دون حماية، وخاصة أمام القبائل البدوية^(٦). فأجبر ذلك السكان على التراجع إلى مناطق أكثر تحصّناً في الأراضي المرتفعة، وهذا يعني أن الحياة الزراعية استمرت ودامت في مناطق التلال بعد أن تراجعت من السهول ونتيجة لذلك فإن التاريخ السياسي المحلي للقرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، تركز في المنطقة الجبلية من عجلون وسوف وجرش، وأن عملية تمركز الفلاحين في مناطق محمية أصبح يدرك

(١) سليمان الموسى، رحلات في الأردن وفلسطين، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٤، ص ١٥١.

(٢) عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص ٦٧.

(٣) عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص ٦٧.

(٤) محمد الصلاح، الإدارة في إمارة شرق الأردن، ص ٧٦.

(5) A Hand book of Syria : op. pp. cit. pp. 237-238.

(٦) أيمن الشريدة، ناحية الكورة، ص ٨٨.

بسهولة في نهاية القرن السادس عشر الميلادي^(١). ففي الولايات الجبلية أو البعيدة عن مركز حكم الدولة، لم يكن الحكم العثماني فيها إلا سطحيًا، أو رسميًا. فالدولة لم ترسل حكامًا عثمانيين، وإنما اعترفت فقط بوجود رياسة معينة، قد تكون قبلية أو عسكرية تحكم باسم السلطان، وتؤدي للدولة قدرًا معينًا من المال كل سنة^(٢). فكان قانصوة الغزاوي، من سكان عجلون زعيمًا محليًا وإداريًا عثمانيًا في منطقة عجلون وجوارها، واستمر في حكمه خمسة وثلاثين عامًا، في الفترة ما بين عام (١٥٥١ - ١٥٨٥م)، حيث كان خادمًا مطيعًا للسلطان، مقدمًا إدارة جيدة، مستفيدًا مما يحصله من إيرادات منصبه، فكان على اتصال مباشر مع السلطان، يبعث إليه التقارير ويستلم منه الأوامر. ولمعرفته في الجزء الجنوبي لشرق سوريا أصبحت ذات فائدة كبيرة للدولة. وهذا الاعتماد على القائد المحلي بدلاً من إقامة المؤسسات الحكومية كان نتيجة للمحددات الإقليمية وليس نتيجة للممارسات الإدارية في الولايات خلال القرن السادس عشر^(٣).

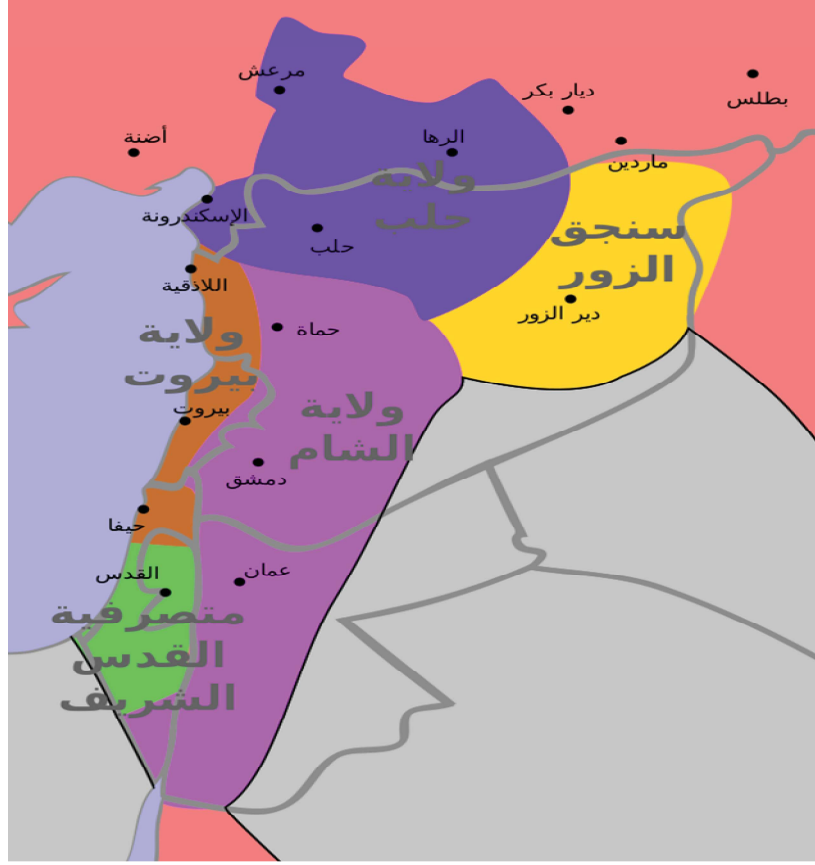
وبعد ثلاثة عقود من حكم الزعيم قانصوة نظر إلى الأراضي وكأنها تحت حكمه، وليس تحت حكم الدولة، فلم يظهر الاحترام الكافي عام (١٥٨٥م)، فتمت إزالته من منصبه، حيث توفي عام (١٥٩١م) بينما كان يحاول استعادة سلطته^(٤).

(1) P.J. Vatiklotis ،Politics And The Military In Jordan. Francass ،Co ،Ltd ،Britain ، 1967.P.34.

(2) Rogan ،The Ottoman Extension ،P.39.

(٣) نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧٢، ص ٢٤.

(4) Rogan ،The Ottoman Extension ،P. 29-31.



الأردن ضمن ولاية الشام العثمانية

ومع ذلك لم يكن حكم المقاطعجي قانصوة الغزاوي فاعلا في المنطقة بشكل كبير، بل كان الأمن مضطربا، وغارات البدو في تزايد مستمر. ولذلك قام الفلاحون بتنظيم أنفسهم تحت زعماء أقوياء كل في ناحيته^(١) كان من واجبهم قيادة القرويين ضد الغارات البدوية على مناطقهم، والدفاع عنها^(٢)، فبرز للوجود ما يسمى نظام المشايخ أحد المراكز السياسية التي أفرزتها ظروف سياسية، واقتصادية كان يعيشها سكان القرى في أواخر القرن

(1) Rogan, 'The Ottoman Extension', P. 41.

(٢) بيك، تاريخ شرقي الأردن، ص ٢٣١.

التاسع عشر الذي كان مليئاً بالغزو والحروب والوضع الأمني الصعب^(١). لقد كانت حياة الناس تدافعاً بالمناكب، ولهم من الحقوق ما يملكون من القوة، فأراد الناس أن يتخلصوا من هذا الجحيم، رغبةً منهم في الحصول على حياة أفضل بحيث يستطيع كل فرد منهم الحفاظ على حياته. ولم يكن ذلك ليحدث إلا بتنازل كل واحد منهم عن حقوقه للشخص الذي يتولى أمور قيادتهم والدفاع عنهم، وهذا ما حدث فعلاً في منطقة عجلون وجوارها، إذ نشأت النواحي العشائرية السبع وهي: عجلون، والمعراض (سوف)، وبني عبيد، والكفارات، والسرو، وبني جهمة، والبطين^(٢) المعروفة في المنطقة التي تقع إلى الشمال من نهر الزرقاء، وهذا يعطي مؤشراً بأن المنطقة في هذه الفترة عاشت في ظل حروب بين بيت الحجر (الفلاحين) الأكثر استقراراً في مناطق الجبال، وبيت الشعر (البدو) الأكثر جوباً في الصحراء، والأكثر تعدياً على المناطق الآمنة. وفي ظل هذه الظروف كان من الطبيعي أن تبرز الزعامة أو شيوخ النواحي. فتضاعفت أهمية الشيوخ مع غياب أي إدارة مركزية في المنطقة أو محطة أمن محلية، وإذا أخذنا بعين الاعتبار ظروف الاتصال والمواصلات في نهاية القرن التاسع عشر، فإن الشكوى أو اللجوء ضد حكم الشيخ كان أمراً غير وارد. وعلاوة على ذلك فقد وجدت السلطة العثمانية أنه من الأفضل لها أن تتعامل مع سلطة واحدة تستطيع جمع الضرائب، وأن تحافظ على الأمن والنظام، فأصبح الشيخ معروفاً بالحاكم الأعلى للمنطقة عن طريق أتباعه ومن جهة البدو الذين عارضوه ومن جهة الحكومة العثمانية^(٣).

(١) فرحة غنام، ملكية الأرض والزعامة، ص ٩١.

(٢) انظر: بيركهارت، رحلات في جنوب سورية.

(3) Antoun, Arab Village, P.17.



وقد لعب وجود الوحدات الاجتماعية دوراً إيجابياً، ومهماً في توطيد الأمن وخاصة مع الوحدات المجاورة^(١). وغالباً ما كان الشيوخ هم القادة لهذه الوحدات الاجتماعية. واعتمد وجود الشيخ، أو الزعيم على قدرته العسكرية في سلطته وقوة رجاله وعُدَّ قائدًا تقليدياً يفرض سلطته بولاء أقاربه المسلحين^(٢). وقدرته على التأثير والإقناع في أكبر عدد ممكن من الناس من خلال صفاته الشخصية وقيامه بتوزيع جزء من فائض إنتاجه وعلاقاته الواسعة داخل العشيرة^(٣).

(1) SuliemanMousa ،Jordan Towards The End Of The Ottoman Empire(1841-1918).S.H.A.J.P.388.

(2) Antoun ،Arab Village ،p.157.

(٣) فرحة غنام، ملكية الأرض والزعامة، ص ٨٩.



أهالي جرش في ساحة الأعمدة

وهذا ما يلاحظ من خلال قيامه بمجموعة من المهام الرئيسة كقدرته على حفظ النظام في منطقته، ومسؤوليته المباشرة أمام السلطات الحاكمة لكونه الناطق باسم قريته^(١). والقائم على تنظيم شؤونها الإدارية والاجتماعية كالزواج، والطلاق^(٢)، والعارف لمساحة منطقته، ومقدار فدها، والمتحصل منها^(٣). كما كان للشيخ الحق في حل المشاكل الناتجة

(١) يوسف غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣، ص ٨٩.

(٢) أحمد الظاهر، أغوار الأردن، ١٩٨٨، ص ٨١.

(٣) يوسف غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، ص ٨٩.

من جمع الضرائب، والتطوع للجيش، وملكية الأرض^(١). وجرت العادة أن يمتلك الشيخ بيتاً كبيراً مفروشاً^(٢).



الحمامات الشرقية وخان هارون

وبرز شيوخ النواحي كمركز سياسي أفرزته الظروف السياسية والاقتصادية التي كان يعيشها سكان القرى في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي والذي كان مليئاً بالغزو والوضع الأمني الصعب^(٣). فتضاعفت أهمية الشيوخ مع غياب أي إدارة مركزية في المنطقة ولذلك وجدت السلطة العثمانية أنه من الأفضل لها التعامل مع سلطة واحدة تستطيع جمع الضرائب وأن تحافظ على بعض النظام ولذلك أصبح الشيخ معروفاً بالحاكم الأعلى للمنطقة^(٤).

(١) أحمد الظاهر، أغوار الأردن، ص ٨٢.

(٢) يوسف غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، ص ٨٩.

(٣) فرحة غنام، ملكية الأرض، ص ٩١.

(٤) قاسم نواصرة، جرش وجوارها، ص ١٠٨.



خارطة فرنسية للمنطقة والأردن عام ١٦٠٠

وكان الشيخ بمثابة الزعيم العسكري في سلطته، ومن أبرز الزعامات المحلية ذات النفوذ في جرش والمعارض الشيخ حسن البركات شيخ بلدة سوف في ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي، وأشار الرحالة أوليفانت عام (١٨٧٩م) أن الشيخ حسن يستطيع ان يجند (١٤٠٠) فارس في الوقت الذي لا يمكن لأي شيخ غيره تجنيد عشرة لأنه كان يعتمد على مساعدة أهالي القرية والقبائل البدوية^(١).

وبصورة عامة فإن شيخ العشيرة لم يكن منتخبا بل كانت تبرزه الأحداث والمواقف والرعاية في خدمة الناس^(٢) ووجد إلى جانب هؤلاء الشيوخ المخاتير في القرى وأنيطت بهم مهمة الإخبار عما يقع في القرى والمزارع من المواليد والوفيات بالأوقات المعينة وإعطاء

(1) Olephant ،p.176.

(٢) عبد الكريم غرايبة، سورية في القرن التاسع عشر (١٨٤٠-١٨٧٦)، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٧٨.

معلومات عن الذين يتوفون وورثتهم وإعلامه بالسرعة الممكنة عن قضايا الجرح والقتل وغيرها.

الحياة السياسية خلال الحكم العثماني (١٨٦٤-١٩١٨م):

في عام (١٨٦٤م) أجري تقسيم إداري جديد في الدولة العثمانية، وذلك إثر تطبيق "قانون تشكيل الولايات"^(١) الذي صدر في (٧/ جمادى الآخرة/ ١٢٨١هـ) الموافق (٨/ تشرين الثاني/ ١٩٦٤م)، وقد تم بموجب هذا القانون دمج لواء عجلون بلواء حوران^(٢). كما أعادت الدولة النظر في التقسيمات الإدارية لولاياتها، ونالت بلاد الشام نصيباً كبيراً من هذه التغييرات، حيث قسمت ولاية سوريا إلى ألوية، والألوية إلى أقضية، والأقضية إلى نواح وقرى ومحلات ومزارع^(٣)، وذلك بهدف حصر الموارد في ولاياتها لحاجتها الماسّة إلى الإيرادات المالية من الضرائب.



عبد العزيز باشا العتوم (١٩١١م)

(1) A Hand book of Syria ،Irbid. P 240.

(٢) عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص ٦٧.

(٣) سليمان موسى، رحلات في الأردن وفلسطين، ص ١٣١.